بنت تايهة طول كده

رجلها الشمال

فيها خلخال زي ده

. . . . . .

دي الليلة الكبيرة يا عمّي والعالم كتيرة.

ماليين الشوادر يابا م الريف والبنادر.

وقف الناظر في الميدان. هنا كانت الأوبرا، قطعة كاملة من أوروبا. صممها فاشيوتي وروسّي على طراز لا سكالا في ميلانو. الأوبرا في صدر الميدان، إلى يسارها صندوق الدين، ما زال قائما. تطلع عبر الشارع، هناك كان فندق شبرد، قطعة صغيرة من إنجلترا، كأنه القنصلية البريطانية. أحرقه المتظاهرون في يناير عام ١٩٥٢، احترق الفندق وشركة كوك للسياحة وكانت تشغل جانبا منه. مكتب توماس كوك وابنه ينظم رحلات الإنجليز إلى صعيد مصر. مراكبه أيضا قطعة من أوروبا سابحة باسم الله في النيل: الطعام إنجليزي، مستوى الخدمة، لغة الحديث. جون ميسون كوك، ابن توماس كوك، طويل عريض قوي البنية ـ أتخيله في حجم روتشيلد بلفور، لكن روتشيلد كان يغوى جمع الفراش والتاريخ الطبيعي، وجون ميسون كوك كان حاد المزاج يشرف على كل شيء، يمسك النيل وأرواح العاملين معه في قبضته. يقال: أمسك بتلابيب ترجمان لم يتحدث معه بما يراه لائقا وألقى به في النهر. «أهم شخصية في القاهرة هي كوك!» هذا ما كتبته جريدة «فانيتي فير» عام ١٨٨٩؛ الجريدة على حق فالرحالة القادمون من وراء البحار يسلمون أنفسهم لشركة كوك ترتب لهم تفاصيل زيارة القاهرة، ثم تحملهم في سفنها إلى صعيد مصر لمشاهدة آثارها القديمة، وعلى متن السفن الجارية في رعاية الله والشركة، يدوّن بعض الرحالة يومياتهم في نهاية كل يوم سياحي، وعند عودته إلى بلاده